

محاضرات مقياس منهجية البحث الأنثروبولوجي

الأستاذة نعيمة رحمانى

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة 3

توظيف المنهج في البحث الأنثروبولوجي (الجزء 1)

أولاً: ماهية المنهج

1- تعريف المنهج:

يعرّف ابن منظور المنهج على النحو التالي؛ نهج: طريق، ونهج، بين واضح. والجمع نهجات ونهج ونهوج. والمنهاج كالمنهج. وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا.¹

بينما يعرفه العلماء اصلاحا على انه "تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه البحث العلمي".² ويستلزم ذلك احتشاد مجموعة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته، فتتقن في تنظيم الأفكار "من اجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين او البرهنة عليها للأخرين حين نكون بها عارفين".³ فالمنهج اذا "بناء فكري على اسسه تبنى النظريات وتترابط وتصاغ، وبه يتم اظهار المتغيرات الصريحة والضمنية وتكتشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل، ومنه تستمد الطرق التي تنتهج من اجل تحقيق الأهداف العلمية... هو تتبع فكري واعى به تنزن المعلومة حتى تأخذ مكانها بين المعلومات السابقة لها والمعلومات اللاحقة عليها، وبالمنهج تتضح الرؤية، عما هو كائن وعما يجب ان يكون".⁴ وبناء عليه يمكننا القول ان المنهج مجموعة من الرؤى العلمية والمنطقية التي تساعد الباحث في بناء تصوره حول موضوع بحثه من خلال تفكيك وتركيب وربط المعلومات بموضوعية، مستعينا في ذلك "بالأساليب والوسائل المعنوية والمادية".⁵

¹ابن منظور، مرجع سابق، حرف النون، الجزء 14، ص 366

² عبود عبد الله العسكري، مرجع سابق، ص 14

³ عبد الرحمن البديوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص 01-06

⁴ عقيل حسين عقيل، مرجع سابق، ص 57-58

⁵ سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، 1994م، ص 62

واستنادا لما سبق ذكره نجد أن الباحث يمارس المنهج من خلال تصوّره للعالم الذي يحيط به، فإذا كان يعتقد مثلا في أن مصدر المعرفة هو الأشياء المحسوسة، فإنه من ممارسي المنهج الاستقرائي، وإذا كان يعتقد في العلاقات المتناقضة والمتصلة للظواهر فهو من ممارسي المنهج الجدلي، وإذا كان يعتقد أن الظواهر مندمجة مع بعضها وفقا لآفاق منفعتها المتبادلة فهو من ممارسي المنهج الوظيفي،⁶ وهكذا.

وتجدر الإشارة إلى أن المنهج يختلف من علم لآخر بسبب اختلاف المواضيع، ذلك أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج.⁷ أو بتعبير آخر فإن صياغة إشكالية البحث هي التي ستدفع بالباحث الى انتقاء المنهج المناسب لمعالجتها، ومن ثمّ انتقاء التقنية الملائمة لجمع المعطيات ميدانيا.

2- كيفية توظيف المنهج

انطلاقا مما سبق يتبين لنا ان توظيف المنهج يكون على مستوى كل مراحل البحث، كما يمكن ان يكون على مستوى أجزاء منه فقط، وقد يتطلّب استعمال وسائل خاصة به، كما قد لا يتطلّب، وهذا متوقف على طبيعة الموضوع كما أشرنا سابقا. فمثلا يفرض المنهج التجريبي تقنية الملاحظة وأسلوبا محددًا في معالجة المعطيات، كما يفرض منهج التحليل النفساني إجراء للتقصّي خاصا به، ويلتمس المنهج التاريخي طريقة خاصة لتحليل النصوص والوثائق، بينما لا يستوجب استعمال المنهج العيادي تقنية محددة لأنه يهتم بالنتائج دون وصف طريقة المعالجة، ويكمل تعريفه بالموقف الذهني تجاه الموضوع. ولكي يكون توظيف المنهج صحيحا وجب توليد الفكرة من الفكرة وتوليد الحجة من الحجة، بيد ان ترابط الأفكار وموضوعيتها ومثانتها دليل على التوظيف القوي للمنهج، بينما ضعف الأفكار وتفككها دليل على ضعف وعدم فهم لكيفية توظيف المنهج.⁸

⁶ موريس أنجرس، مرجع سابق، ص98-99

⁷ فاروق احمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، المناهج الانثروبولوجية وتطبيقاتها الميدانية، دار المعرفة الجامعية، 2009م، ص63.

⁸ موريس أنجرس، مرجع سابق، ص99

3- مصطلحات قريبة الدلالة من مصطلح المنهج

مما لا شك فيه انه توجد بعض المصطلحات الملاصقة لمصطلح **المنهج**، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مصطلح **التناول أو المقاربة** *approche*، وهو مصطلح ذو اقتران وطيد بالنظرية المتبناة من قبل الباحث سواء كانت نظرية أنثروبولوجية انتشارية او وظيفية اوبنائية أو تطويرية جديدة او ماركسية، او معرفية، أو غيرها. وإلى جانبه نجد توظيف مصطلح **النموذج النظري** *paradigme* أو **الإطار**، والذي يرسم ويحدد مجموع التصورات والقناعات والخلفيات النظرية والتطبيقية الخاصة بميدان معرفي معين، حيث تتيح للباحث امتلاك نظرة خاصة حول الواقع وحول الأحداث⁹ المتعلقة بموضوع بحثه.

4- أنواع المناهج في العلوم الإنسانية، المناهج الأنثروبولوجية أنموذجاً

أ- مناهج العلوم الإنسانية من منظور موريس أنجرس وبتصرف من قبلنا:

اختر موريس أنجرس 3 مناهج من بين عدة مناهج، وشدّد عليها باعتبارها مناهج نموذجية في العلوم الإنسانية وهي؛ **المنهج التجريبي**، على أساس أنه طريقة لدراسة موضوع بحث من خلال إخضاعه للتجربة وجعله بحثاً قائماً على السببية، أي ربط السبب بالنتيجة بين الظواهر والمتغيرات. ثم تناول **المنهج التاريخي** باعتباره طريقة لتأويل حادثة وقعت في الماضي من خلال جمع الوثائق وتحليلها ونقدها.¹⁰ وعلى أساس أنه منهج يتطلب حسب الباحث عبد الرحمن بدوي،¹¹ **عملية التحليل** (وصف المعلومات وتفسيرها)، تليها **عملية النقد** التي قوامها نقد المعلومات الواردة في النصوص تمحيصاً ومساءلةً، بدءاً **بالنقد الخارجي أو نقد التحصيل**، بغية معرفة سياق إنتاج النصّ (مصدره، مؤلفه وخلفيته الثقافية، تاريخه، كيفية إنتاجه وهدفه، ومصادره)، ثم ممارسة **النقد الباطن الإيجابي** عبر تحليل مضمون وطبيعة النصّ ومصدره، يليه **النقد الباطن السلبي** عبر التّقيب عن الأمانة والدقّة للتأكد من صحّة الأحداث المعروضة، وفي الأخير **العملية التركيبية** لأحداث بغية تدارك ما لم يتمّ التطرّق. وثالث منهج أكد عليه موريس أنجرس هو **منهج البحث الميداني** باعتباره طريقة تناول موضوع بحث من خلال

⁹ موريس أنجرس، المرجع السابق، ص100

¹⁰ موريس أنجرس، المرجع السابق، ص102-105-

¹¹ عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، ط⁴، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1981م، (المؤلف ككل).

اعتماد إجراءات تقصي مطبقة على مجتمع البحث في الوقت الراهن؛ بغية البحث في طرق عمله وتفكيره واحساسه. علما أن اهداف البحث هي التي تحدد تقنيات البحث، فالبحث الوصفي يستعين بتقنية سبر الآراء، والبحث التصنيفي يستعين بالتعدادات العامة، والبحث التفسيري يعتمد على تقنية الاستمارة، بينما يعتمد البحث التفهيمي على تقنية المقابلة أو الملاحظة¹²، مثلما هو الحال في البحوث الأنثروبولوجية.

وقد لخص موريس أنجرس خصائص المناهج التي اقترحها على النحو التالي (بتصرف

من قبلنا):¹³

خصائص المناهج النموذجية الثلاثة في العلوم الإنسانية			
منهج البحث الميداني	المنهج التاريخي	المنهج التجريبي	
الأهداف متعددة حسب هدف البحث؛ وصفية أو تصنيفية أو تفسيرية أو تفهيمية	إعادة بناء الماضي	ربط السبب بالنتيجة	الأهداف
تقنيات متعددة لجمع المعطيات - سبر الآراء - التعدادات العامة - الاستمارة - المقابلة - الملاحظة	- تحليل (وصف المعلومات وتفسيرها) - نقد (النقد الخارجي والنقد الباطن الإيجابي والنقد الباطن السلبي) - العملية التركيبية للأحداث	تجارب	التقنيات
ظواهر سكانية	ظواهر من الماضي	ظواهر قابلة للقياس	المواضيع

جدول رقم 01: يبين خصائص المناهج النموذجية الثلاثة في العلوم الإنسانية عند موريس أنجرس وبتصرف من قبلنا.

¹² موريس أنجرس، مرجع سابق، ص 106
¹³ المرجع نفسه، ص 107 بتصرف